

الأنثروبولوجيا الثقافية في الخطاب السينمائي: قراءة في فيلم نانوك رجل الشمال

Cultural Anthropology in Cinematic Discourse: A Reading of Nanook
of the Northبن عزوزي عبدالله^{1*}جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر) abdellah.benazouzi@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2025/12/12

تاريخ القبول: 2025/10/31

تاريخ الاستلام: 2025/03/15

ملخص:

تُجسّد السينما في مضامينها العديد من القضايا والموضوعات المهمة المرتبطة بحياة الإنسان، حيث توثّقها عبر الصورة الفيلمية التي أصبحت اليوم واحدة من أبرز الأدوات المستخدمة في مختلف الدراسات والعلوم لتوثيق الحقائق والاعتماد عليها كأرشيف بصري يستند إليه الباحثون في أبحاثهم. ونظرًا لارتباط السينما بحياة المجتمعات وتطورها، فقد نشأت علاقة وثيقة بينها وبين الأنثروبولوجيا الثقافية، حيث يشتركان في الأهداف نفسها ويعتمدان على مصداقية الصورة في دراسة وتوثيق حياة الشعوب وثقافتها. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف حدود هذه العلاقة بين الثقافة والسينما، مع تسليط الضوء على أهمية السينما باعتبارها فضاءً بصريًا ينضوي تحت مجال الأنثروبولوجيا البصرية، الذي يُعنى بدراسة وتوثيق حياة وثقافة المجتمعات من خلال الصورة السينمائية. وفي هذا السياق، نركز على الفيلم الشهير نانوك رجل الشمال لروبيرت فلاهيرتي، ساعين من خلال تحليله إلى الكشف عن البعد الأنثروبولوجي للفيلم الوثائقي في توثيق حياة الشعوب وثقافتها، بالإضافة إلى رصد ملامح الثقافة التي تتجلى في مختلف مراحل الفيلم.

كلمات مفتاحية: الفيلم، الأنثروبولوجيا، الثقافة، الوثائقي، نانوك، السينما

Abstract:

Cinema portrays various significant themes related to human life, documenting them through its iconic imagery. Today, it is one of the most crucial tools in numerous disciplines for preserving facts and serving as a visual archive for researchers. Due to its deep connection with societal development, cinema has become intertwined with cultural

^{*} المؤلف المرسل: بن عزوزي عبد الله

anthropology, which shares its goals and relies on visual credibility. Both fields seek to study and document human cultures through images. This study explores the relationship between cinema and culture, highlighting the role of film within visual anthropology. It emphasizes cinema's contribution to understanding and preserving cultural heritage. The focus is on *Nanook of the North* by Robert Flaherty, a pioneering documentary. Through this analysis, we examine the film's anthropological significance in recording human experiences. Additionally, we observe how cultural elements unfold throughout the film's narrative and production stages.

Keywords: Film, Anthropology, Culture, Documentary, Nanook, Cinema

1. مقدمة:

تعد السينما إحدى أهم وسائل الاتصال الجماهيري، التي يمكن من خلالها إيصال العديد من الرسائل إلى الجماهير على اختلاف أجناسها وانتماءاتها العرقية، هذا فضلا عن طبيعة التيمات التي يتضمنها الخطاب السينمائي، في قالب سمعي وبصري، وإذا كانت السينما فنا سمعيا بصريا، يعالج ويوثق خصوصيات الشعوب وهوياتها، فإنها باتت ولا تزال على ارتباط وثيق بالثقافة، شأنها شأن المسرح وبقيّة الفنون الأخرى .

تلعب السينما دورا كبيرا في توثيق الثقافة وتناولها في شكل مواضيع سينمائية شيقة، مكنتها من أن تصبح أداة بحث وتوثيق أنثروبولوجي بصري .

نحاول في هذا البحث، الإجابة عن الإشكالية الرئيسية المتمثلة :

في أهمية الصورة السينمائية في الأنثروبولوجيا الثقافية، وحدود التداخل بين الثقافة والسينما.

ولدراسة إشكالية هذا البحث، راودتنا العديد من التساؤلات الفرعية، منها :

ما هي حدود العلاقة بين السينما والثقافة؟

إلى أي مدى استطاعت السينما أن تروج خصوصيات وثقافات الشعوب؟

ما هي آليات تناول الثقافة في الخطاب السينمائي؟

ما أهمية الموروثات الثقافية في السينما؟

كيف استطاعت السينما الوثائقية، أن تلج عالم الأنثروبولوجيا البصرية؟

نهدف من خلال هذه الدراسة، إلى الوقوف عند العديد من القضايا والحقائق الهامة، التي جمعت بين السينما كفن، يعتمد لغة الصورة للتوثيق و الأنثروبولوجيا الثقافية البصرية، كعلم يسعى إلى دراسة ثقافات الشعوب، على اختلاف مجالاتها وذلك للوقوف عند حقيقة هذه العلاقة الغائية والمستقبلية على الدوام، التي جعلت كلا من السينما و الأنثروبولوجيا مجالين لأرشفة حياة الشعوب على اختلاف الثقافات والمسافات والأزمنة والعصور.

2. الأنثروبولوجيا الثقافية في الخطاب السينمائي

1.2 حدود العلاقة بين السينما والثقافة:

تعتبر كل من السينما والثقافة، مجالين مهمين في بناء المجتمعات وتطورها، ذلك لأن السينما تلعب دورا هاما وبارزا في التواصل الجماهيري على مختلف المستويات، وتساهم في نشر الثقافة وترسيخها عن طريق الصورة والصوت، ولذلك تعتبر علاقتهما علاقة دائمة مستقبلية على الدوام.

منذ ميلاد السينما بتاريخ 28 ديسمبر عام 1895 تفتن الإخوة لوميار فيما بعد إلى أن التجربة ليست مجرد نجاح تكنولوجي في عالم التصوير فقط؛ بل تجاوزت ذلك إلى كونها أداة فعالة لتوثيق الحياة الثقافية للمجتمعات مهما تنوعت أو بعدت، خاصة وأنه بعد أن تطورت الصناعة السينمائية، أصبحت العديد من المواضيع الثقافية، تيمات رئيسية في العديد من الأفلام خاصة الوثائقية منها.

وعليه يدرك الباحث في هذا المجال، ذلك التبادل في العلاقة بين السينما والثقافة، حيث تمتد هذه الأخيرة، السينما بمواضيع شيقة، هذا فضلا عن كونها تعتبر مجالا للتوثيق السينمائي، وفي المقابل تعد السينما أداة للتسويق والترويج لثقافات الشعوب على اختلاف انتماءاتها العرقية، في قالب سينمائي درامي، أو ربما برامج وثائقية عن طريق أيقون الصورة والصوت.

2.2 الأنثروبولوجيا الثقافية في الخطاب السينمائي

مرت السينما في العديد من انتاجاتها عبر التاريخ، بتجارب مهمة على المستوى الثقافي، إلى درجة أنها أصبحت أداة توثيق وبحث أنثروبولوجي، حول حياة الشعوب وخصوصياتها والدليل على ذلك، ما نقلته لنا السينما العالمية منذ نشأتها من أفلام، عالجت واقع الحضارات القديمة، تاريخها وخصوصياتها، وبالأخص ثقافتها وموروثاتها الشعبية، وإعادة تجسيدها بالصورة والصوت .

لذلك فإن تناول خصوصيات المجتمعات وهوياتها في قالب سينمائي، يعتبر أحد المجالات المعاصرة، للبحث والتوثيق الأنثروبولوجي، لثقافة المجتمعات، استنادا إلى عالم الصورة المليء بالوضوح والأيقونات والرموز والدلالات المعبرة، التي يمكنها ترسيخ وإيصال هذه الثقافات عبر العصور، وعبر الشعوب على اختلافها .

3. مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية.

تعتبر الأنثروبولوجيا علما يهتم بالسلالات البشرية، ولها عدة فروع منها الأنثروبولوجيا البيولوجية والثقافية... وغيرها، وإذا كان حديثنا ينصب حول الأنثروبولوجيا الثقافية فهي العلم الذي يدرس الإنسان، من الناحية الثقافية، حيث يرصد ثقافات الشعوب وهوياتها وخصوصياتها، ونمط عيشها و سلوكياتها واحتفالاتها ومواريثها الشعبية ومظاهر الثقافة المترسخة في أوساطها بشكل عام؛ لذلك ارتبط هذا العلم بالإنسان وعلم الاجتماع والفنون بشتى أنواعها .

" تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها، وتتبع نموها وتطورها وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل مكان وزمان، فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها سواء كانت ثقافة أسلافنا ... أو أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة... فجميع الثقافات تستأثر باهتمام دارس الأنثروبولوجيا، لأنها تسهم جميعا في الكشف عن استجابات الناس -المتمثلة في الأشكال الثقافية -" (الجوهري، 2007، صفحة 35)

يسعى علماء الأنثروبولوجيا الثقافية إلى رصد أنماط ومظاهر الثقافة، التي تميز الشعوب والتي تطورت بتطورها أيضا، لذلك تعتبر مجالا للبحث والتقصي عن مثل هذه المظاهر التي تتعلق بالسلوك ونمط العيش والمحيط الخاص بالإنسان والمكتسبات الثقافية الناتجة عنها وعن علاقة الإنسان ببيئته ومحيطه بشكل عام وهو ما يفسره طريقة عيش الشعوب وتصرفاتها واحتفالاتها ناهيك عن خصوصيات أخرى أكثر تطورا مثل الموروث الثقافي والأدبي والفني . كل هذه المظاهر تحتاج من دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية إلى وسائل للتوثيق والتي تكون أكثر ديناميكية بين الوسائل التقليدية لذلك فإن الصورة كفيلة بتوثيق مثل هذه المظاهر الثقافية وتناولها في قالب إعلامي أو درامي أو إخباري وثائقي عن طريق أيقون السينما أو وسائل الإعلام والاتصال المرئية والمسموعة.

تحاول الأنثروبولوجيا الثقافية رصد تطور ثقافات الشعوب وتصنيف هذه الثقافات بين المكتسبة منها وبين الهوية والخصوصية المترسخة في وجدان كل مجتمع من جهة ثانية حيث تعتمد على البحث والتوثيق لمثل هذه الظواهر والموروثات الثقافية في العديد من المجالات سواء من خلال دراسات أنثروبولوجية بحتة أو ربما استنادا إلى وسائل أخرى أهمها الصورة التي أصبحت أكثر وسيلة توثيق وتعبير بين الوسائل الأخرى، وعليه تعد السينما عامة والوثائقية منها بشكل خاص إحدى أهم وسائل الاتصال الجماهيري التي استخدمت كأسلوب توثيق أنثروبولوجي لثقافات العديد من الشعوب ونقلت لنا عبر أيقون الصورة العديد من الثقافات من الأصقاع النائية وعالجت العديد من الحقائق التاريخية والاجتماعية للحضارات الغابرة .

1.3 - الأنثروبولوجيا والسينما (أرشيف مصور لثقافات الشعوب) .

منذ ميلاد السينما مع الإخوة لوميير مروراً بالعديد من رواد السينما الذين ساهموا في تطويرها على غرار كل من روبيرت فلاهيرتي ودافيد جريفيت وديزغا فريتوف ... وغيرهم. حيث اعتبرت أهم وأقوى أداة توثيق وتعبير، ذلك لأن لغة الصورة كما يقال تعادل ألف كلمة، ويمكنها التواصل مع مختلف الجماهير مهما اختلفت انتماءاتها العرقية وثقافتها

ومستوياتها، كما أنه للصورة ما يميزها عن باقي اللغات الأخرى؛ لذلك بقيت السينما تصنع أرشيفا مصورا عن حياة الشعوب على اختلاف مجالاتها .

ولأن السينما باتت تعالج العديد من التيمات التي تصور ثقافات الشعوب والحضارات القديمة والمناطق النائية في العالم، فقد أصبحت بذلك محل اهتمام علماء البحث الأنثروبولوجي لتوثيق ثقافات الشعوب وخصوصياتهم، وهكذا أصبح التصوير الوثائقي بدوره عملا أنثروبولوجيا، سواء كان ذلك بقصد أو غير ذلك .

شكلت علاقة السينما بعلم الأنثروبوجيا مهذا لميلاد ما أستخدم عليه بالأنثروبولوجيا المرئية التي تتركز بشكل كبير على كل ما هو مرئي متعلق بالتصوير وعليه تعرف الأنثروبولوجيا المرئية بكونها "أحد فروع علم الاجتماع الإنساني الذي بدأ منذ منتصف عام 1990 مع انتشار وسائل الإعلام الجديدة أي مع دراسة التصوير الفوتوغرافي و إنتاج ما تسمى بالأفلام الايثنوغرافية وقد يستخدم أحيانا كمصطلح بالتبادل مع الأفلام الأيثنوغرافية وتشمل الأنثروبولوجيا البصرية أيضا الدراسة الأنثروبولوجية للتمثيل البصري بما في ذلك الأداء، المتاحف، الفن، و إنتاج وسائل الإعلام ويتم تضمين التمثيل المرئي من كل الثقافات " (سفيان، 2018، صفحة 486)

كان هذا هو المنطلق الذي جعل فنون التصوير على اختلافها بما فيها السينما تقوم بمثابة البحث والتوثيق الأنثروبولوجي الثقافي عن طريق أيقون الصورة المرئية، التي يمكنها نقل هذه الثقافات ومختلف الظواهر الاجتماعية والسلوكيات المتجذرة في حياة الشعوب وخصوصياتها لترويجها عبر العالم، عن طريق كادر الصورة الفيلمية .

لقد قامت السينما كوسيلة توثيق أنثروبولوجية بصرية، بدور كبير في تسجيل حياة الشعوب من نواحي متعددة فعلى سبيل المثال نجد أن استخدام الفيلم كوسيلة أنثروبولوجية بصرية كان مع العالم : "ألفرد كورت هادون عام 1898 عندما اعتمد على التصوير في دراسته لجزر تورييس والتي عمل على التسجيل العلمي من خلال وسائل مختلفة مثل معدات التحدث عن صور فوتوغرافية و أفلام ثم اتسع نطاق مثل هذه الأفلام والتجارب بعد

الحرب العالمية الأولى وذلك من خلال أعمال كل ما لينوفسكي وبواس ثم يليهم راد كليف براون ومارسيل موس وبعد ذلك تلى هؤلاء العلماء من الأنثروبولوجيين علماء آخرين من أمثال مارجريت ميد من خلال استخدامهم لوسائل الاعلام المرئية. " (حجاج، 2014، صفحة 68)

هكذا شكلت السينما وسيلة بصرية مهمة في الأنثروبولوجيا المرئية، التي عنيت بتقصي ثقافات الشعوب وخصوصياتهم في السلوكات ونمط العيش والاحتفالات ... وما غير ذلك من مظاهر الثقافة ولذلك تعد السينما بدورها أداة توثيق وثقيف، حيث يمكن للمرء أن يتعرف من خلالها على ثقافات الشعوب، مهما بعدت المسافات وتوالت العصور والدليل على ذلك ما وثقته الصورة السينمائية من مظاهر لثقافة البقاع النائية في العالم، أو الشعوب والحضارات الغابرة، وإعادة عرضها في كادر السينما بالرغم من طول المسافات وتوالي العصور .

2.3 السينما الوثائقية والترويج الثقافي:

تضمنت السينما الوثائقية منذ نشأتها العديد من القضايا والحقائق والمواضيع الهامة التي تهم الرأي العام، ذات الطابع الاخباري والاعلامي والسياحي والتعليمي ...وغيرها، من مجالات الفيلم الوثائقي، لذلك تعتبر المواضيع ذات الطابع الثقافي ونشر ثقافات الشعوب بشكل خاص، احدى اهتمامات صانعي الأفلام الوثائقية .

تعددت المضامين الثقافية في الأفلام الوثائقية التي تميزت بالترويج السياحي فيما أستخدم عليها بأفلام الرحالة، حيث استطاعت أن تنشر ثقافات الشعوب وتوثقها منذ مرحلة السينما الصامتة، ولعل الرحالة السينمائي روبرت فلاهيرت خير مثال على ذلك، حيث استطاع نقل حياة شعب الايسكيمو من القطب المتجمد الشمالي في فيلمه الشهير نانوك رجل الشمال، وكذا فيلم موانا الذي يصور ثقافة وحياة قبائل الساموا في المحيط الهادي .

لقد كانت عدسة الكاميرا عنده بمثابة أداة يوثق بها خصوصيات وحياة وثقافة هؤلاء الشعوب في اطار أنثروبولوجي بصري .

أسفرت هذه العلاقة بين الفيلم الوثائقي والأنثروبولوجيا البصرية، عن ظهور ما يصطلح عليه بالفيلم الاثنوغرافي الذي كان أداة بمكونات بصرية لخدمة الانسان وتوثيق حياته وثقافته وسلوكاته ومحيطه وما غير ذلك .

"حين تم اختراع السينما أراد عدد من أهل العلم وضع هذه الأداة –السينما- مباشرة في خدمة الانسان وفي مر اقبة تصرفاته في الواقع ولذلك فان الأنثروبولوجيا والسينما قد أبصرا النور معا وعمليا في وقت واحد ما يجعل منهما رفيقي طفولة قديمة" (كولايين، 2008، صفحة 60).

هبت السينما العالمية نحو انتاج هذه الافلام الاثنوغرافية، التي تحمل في تيماتها وأهدافها بعدا أنثروبولوجيا عن حياة الشعوب، فبالرغم من بدايتها المحتشمة التي ركزت على الوثائقية في تصوير واقع الانسان كما هو، ومعالجة تاريخ المجتمعات ونمط العيش والسلوك... الخ، وهي كلها تنطوي تحت غطاء الانثروبولوجيا الثقافية وذلك لبناء خطاب سينمائي ينقل الواقع كما هو فعلا بمصداقية؛ ومن بين رواد هذا الاتجاه نجد العديد من السينمائيين الذين تبنوا هذا النمط من الأفلام الاثنوغرافية ذات الطابع الانثروبولوجي منهم:

" فرتوف (vartov)فلاهيرتي(flaherty) غريرسون(grierson)...وسواهم حيث كان هدفهم من هذه الافلام فنيا وثقافيا أكثر مما كان علميا أو اجتماعيا الا أنهم اكتسبوا القدرة على اقتراح وجهة نظر حيث لجأ بعضهم الى عمليات لا يقبلها الباحثون الا أن الفضل كان لهم في معرفة أن الواقع لا يتكلم وحده وأن المراقب يكسر الواقع ويبني خطابا" (كولايين، 2008، صفحة 59)

2.3 - فيلم نانوك رجل الشمال-توثيق أنثروبولوجي لحياة شعب الايسكيمو.

3.3- روبرت فلاهيرتي والفيلم الوثائقي :

تعد السينما الوثائقية المنطلق الأول الذي انطلقت منه عملية التصور السينمائي، حيث تمثلت الأفلام الأولى بالتقاط مقاطع وأحداث واقعية مجردة وفي عين المكان، وسرعان ما

تطورت السينما عندما ارتبطت بالخيال والسرد عن طريق الصورة، ليدخل الخيال عالم الابداع السينمائي، غير أن السينما الوثائقية بقيت بعيدة عن معنى التجسيد وصناعة تيمات مصورة باستثناء تلك المقاطع القصير، التي باتت تحتاج الى تطوير في كيفية استخدام هذه الآلة وهذه التقنية الجديدة في صناعة أفلام وثائقية، يمكنها توثيق الحقائق وبناء موضوعات تشترك فيها الصورة والتوثيق لأحداث أو حقائق معينة .

وجدت السينما الوثائقية ضالتها مع رائد السينما روبرت فلاهيري، في مرحلة السينما الصامتة، ذلك الرحالة السينمائي الذي طالما كان يجوب الأصقاع النائية لتصوير الشعوب البدائية والمجتمعات البعيدة والمنعزلة، وتسجيل ثقافتها وحياتها الاجتماعية والطبيعية وتوثيقها عن طريق الكاميرا، لصناعة أفلام وثائقية لهذه المناطق النائية وترويجها عبر العالم وبالرغم من العدد القليل من الأفلام التي أنتجها خلال تجربته في السينما، الا أن أفلامه الوثائقية، تعتبر معيارا للفيلم الوثائقي من حيث المصادقية و القيمة الفنية والجمالية والغاية الاعلامية والدعائية، التي يتميز بها هذا الشكل من الأفلام .

" لم ينتج فلاهيري سوى بضعة أفلام خلال سنوات عمله ، ولكن البعض منها أصبح محكا تقاس على أساسه الأفلام الوثائقية ؛ حظي فيلمه الشهير نانوك ابن الشمال بنجاح واسع وألهم صناع الأفلام في كل أنحاء العالم من الروسي سيرجي ايزنشتاين الى البريطاني جون جريرسون والفرنسي جان روش " (أوفدرايدي، 2012، صفحة 34)

كان فلاهيري مولعا بتصوير أي شيء يخص المجتمعات النائية، من حيث ثقافتها وسلوكاتها ومحيطها وأساليب عيشها وريما هذا الشغف بمثل هذه المواضيع كان دافعا له لكي يجعل من الكاميرا أداة توثيق أنثروبولوجي لهذه الشعوب، وهو ماد فعه لأولى المناطق النائية في القطب المتجمد الشمالي وفي شمال كندا تحديدا ، مختارا شعب الاسكيمو الذي تحدى قساوة الطبيعة وينقل للعالم حياة وثقافة شعب معزول بقساوة الطبيعة وترويجها من خلال الصورة السينمائية عبر العالم .

"نشأ فلاهيري في كندا وعلى حدودها وعاش فترة في معسكرات التعدين مع والده الذي كان يملك منجما، بعد محاولة فاشلة لتنفيذ فيلم يوثق رحلاته وأسفاره، ثم عاد بعدها الى سكان القطب الشمالي الأصليين ، الذين لقي منهم معاملة طيبة مما ساهم في اخراجه لفيلم نانوك رجل الشمال، حيث تم تمويله من شركة فرنسية مما جعل الفيلم يحقق ارباحا كثيرة للشركة ولفلاهيري نفسه ، حيث استعار الفيلم عناصر تصويرية من الأعمال السينمائية الترفيهية الرائجة في ذلك الوقت، معتمدا على عناصر تصويرية مستعارة من أفلام الرحلات وكان الفيلم قد وثق واقع شعب يصمد في مواجهة الظروف البيئية القاسية من أجل البقاء؛ وفي المقابل ووسط هذه القساوة يرصد الفيلم ثقافة هذا الشعب الذي كان يعتقد ها الناس أنها بدائية. (أوفرهايدي، 2012، صفحة 32)

هكذا كانت أفلام فلاهيري الوثائقية ترصد حياة الشعوب في المناطق النائية، مستغلا عدسة الكاميرا لتوثيقها من مختلف الجوانب البيئية والاجتماعية ومظاهر الثقافة الناجمة عنها ولذلك فان طبيعة العمل السينمائي الذي كان يقوم به، يجعل الملاحظ لمثل هذه الأفلام يدرك أنها تندرج ضمن الأنثروبولوجيا البصرية، التي تعتمد التوثيق المصور أداة لتقصي ملامح هذه الثقافة وسط هذه البيئة الاجتماعية التي تتميز بكثير من الخصائص عن باقي المجتمعات عبر العالم، واعادة تركيبها في قالب مصور يروجها للعالم قاطبة، مما يجعل المشاهد يتعرف على مثل هذه المظاهر الثقافية ، ويختصر المسافة أمامه عبر أيقون الصورة المرئية .

يندرج هذا الفيلم ضمن الأفلام ذات الطابع الاثنوغرافي التي تهتم برصد حياة الجماعات وثقافتهم اعتمادا على التأمل والملاحظة والدراسة لعاداتهم وممارساتهم وحياتهم اليومية فلاثنوغرافيا تقوم بملاحظة وتسجيل الحياة الاجتماعية المتواصلة لأفراد هذا المجتمع وهذا عن طريق تقديمهم بوصف مكثف لهذه البيئة الاجتماعية والحياة اليومية... "(حياة، 2023).

على هذا الأساس كان فلاهيري يقدم صورا مفصلة عن حياة الشعوب وخصوصياتهم وثقافتهم وهو ما يجعل أعماله تدخل ضمن الأفلام الاثنوغرافية التي تعتمد على الملاحظة وتسجيل هذه الثقافات وتوثيقها عن طريق أيقون الصورة الفيلمية

4.3-ملخص الفيلم -نانوك رجل الشمال :

يصور فيلم نانوك رجل الشمال حياة شعب الايسكيمو الذي يعيش ظروفًا بيئية قاسية في القطب الشمالي حيث اختار لتصوير هذا الفيلم عائلة من هذا المجتمع، وهي عائلة المدعو نانوك الذي تجاوب مع المخرج ولقي الترحاب والتعاون من طرف هذه العائلة، التي مكث بينها لمدة من الزمن، استطاع تصوير كل مظاهر حياتها، وتعرف خلال تلك الفترة التي مكثها على ثقافة هذا الشعب وسلوكاته ونمط العيش و سط تلك الظروف البيئية القاسية، وإذا كان حديثنا ينصب في هذا السياق عن الأنثروبولوجيا الثقافية في السينما، فإن هذا الفيلم بدوره يندرج ضمن ذات السياق ، حيث أن الحقائق المصورة في الفيلم لا تخل من مظاهر الثقافة الناجمة عن صراع الانسان مع تلك الظروف التي يعيشها ، لذلك كان موضوع الفيلم والبيئة التي صور فيها العينة التي اعتمد عليها والتي كانت عائلة نانوك ذاتها تمثل مادة مهمة لتكوين فيلم وثائقي ذو طابع أنثروبولوجي يدرس ويوثق حياة وثقافة شعب الايسكيمو .

يأخذنا فلاهيري عام 1922 في قالب السينما الوثائقية ذات الصور الرمادية الصامتة المصحوبة بمقاطع موسيقية في رحلة سينمائية وثائقية الى عمق القطب المتجمد الشمالي وسط البيئة الثلجية القاسية متبعا حياة نانوك وعائلته اذ يستهل فيلمه الشهير بمشاهد عن يوميات نانوك في الصيد وسط المحيط المتجمد والجليد وتتوالى المشاهد بسرعة حيث تعبر عن الظروف البيئية التي تعيشها هذه العائلة لكسب قوتها لاتباعها بمشاهد عن أفراد العائلة من زويا مختلفة تتعلق باللباس والسكن وسط الاكواخ الجليدية وأجواء الحياة لأفراد عائلة نانوك في مشاهد تصور تربيته للأطفال على الصيد وتحدي قساوة الطبيعة وطرق التنقل فيها والأجواء الاجتماعية الناجمة عن هذا

المحيط المنعزل بفعل الظروف الطبيعية القاسية والمتميزة في الوقت ذاته. (فلاهيوتي، 1922)

قد يظن المتتبع للفيلم بأن الفيلم لا يقتصر سوى على مظاهر الطبيعة وقساوتها وحياة نانوك وسط تلك الظروف المصورة، وربما يبدوا هذا الأمر في الظاهر كما هو ملاحظ غير أن الفيلم لا يخل من مظاهر الثقافة الناجمة عن تلك الظروف، خاصة اذا سلمنا بأن الثقافة قد تكتسب من صراع الانسان مع الطبيعة والحياة، مما يجعل الانسان يختص ويكتسب ثقافة تلك الطبيعة من حيث الملبس وطريقة العيش و كسب القوت وأساليب التعامل... وغيرها لذلك فالمشاهد المصورة بقدر ماهي توثيق لحياة طبيعية قاسية، فهي كذلك تجسيد لمظاهر ثقافية بدائية تتوافق والظروف الطبيعية المحيطة بها .

هكذا استطاع فلاهيوتي من خلال عائلة نانوك توثيق مظاهر الحياة الاجتماعية والبيئية والثقافية لشعب الاسكيمو في شمال كندا " حيث عاش بين شخصيات فيلمه لمدة أكثر من 15 شهرا قبل أن يباشر عملية التصوير وقد عاش مع نانوك تلك العزلة وسط البيئة القاسية فدون ملاحظاته والمشاهد التي كان يود تصويرها وتقفي كل سلوكات نانوك وعائلته كنموذج لشعب الايسكيمو ليتمكن في الاخير من الابداع في تصوير فيلم صامت يرسم ملامح الصراع الطويل والمتجمد عبر السنين لبطله نانوك وعائلته مع الطبيعة القاسية مركزا على الحياة التقليدية لهذا الشعب قبل دخول الحداثة عليه الى درجة أنه ركز على كل ماهو تقليدي من حيث اللباس ادوات الصيد وغيرها كما ألزم شخصيات فيلمه بالاكْتفاء بالحريّة التقليدية القديمة " (خلفي، 2014، صفحة 09)

من هذا المنطلق يدرك المتتبع لهذه الخطوات والمغامرات التي مر بها نانوك في اكتشاف هذا المحيط وهذه الظروف البيئية والتعائيش مع هذه العائلة في عزلتها لمدة تزيد عن 15 شهرا أن العمل كان أكبر من انتاج عمل سينمائي بل تجاوز ذلك الى البحث الانثروبولوجي عن حياة الانسان من جوانبها المختلفة وسط هذه العزلة في ظروف بيئية قاسية مترصدا كل ملامحها الحياتية والاجتماعية والثقافية .

لذلك يمكن القول أن هذا الفيلم يندرج ضمن الافلام الايثنوغرافية التي اعتمدت على الانثروبولوجيا البصرية كأسلوب لدراسة واكتشاف وتوثيق حياة وثقافة مثل هذه المجتمعات .

4- ملامح ثقافة الايسكيمو في فيلم نانوك رجل الشمال :

يقال أن الانسان دائما ابن بيئته يؤثر في محيطه ويتأثر به لذلك فان من نتائج هذا التأثير هو ذلك الانعكاس الذي يظهر على العديد من الجوانب الثقافية التي يختص بها المجتمع نتيجة تأثير عوامل طبيعية .

قد يرى المشاهد في فيلم نانوك رجل الشمال بأن القصة تتمحور حول انسان يصارع وسط الطبيعة القاسية، كما ذكرنا سابقا، لكن عملية البحث الانثروبولوجي عن مظاهر الثقافة تتطلب منا النظر الى العديد من السلوكات والمميزات الثقافية المكتسبة نتيجة هذا التأثير ، والتي هي في الأصل وجدت من أجل المقاومة والبقاء، ولكنها تندرج كذلك ضمن الطبوع والألوان الثقافية التي تميز خصوصية وهوية شعب الايسكيمو في عزلته وبيئته المتجذرة في هذا العالم منذ أكثر من آلاف السنين

1.4- خصوصية اللباس عند الايسكيمويين الصراع من أجل التكيف والثقافة المكتسبة:

يعد اللباس جزء من ثقافة الشعوب وهويتها، والدليل على ذلك أن مختلف الشعوب عبر العالم، تتميز بأزيائها في اللباس، الذي يعكس تراثها ، وانتماءها وعاداتها وتقاليدها وتاريخها...وما غير ذلك، أي أن اللباس بدوره، يعتبر لونا تراثيا وأيقونا ثقافيا تتجلى من خلاله ملامح الخصوصية الثقافية لدى الشعوب مثلما هو الحال لبقية الموروثات والطبوع والألوان الثقافية، وهو المسعى الذي تبحث فيه الانثروبولوجيا الثقافية، لذلك فان شعب الايسكيمو يختص هو الآخر بأزيائه الغريبة والتقليدية بالنسبة اليه، في آن واحد ، فأما الغرابة فيها فتعود لكون هذه الأزياء تخص شعب الايسكيمو لوحده، والتي تتميز في شكلها بوظيفيتها في صراع الانسان مع البيئة القاسية والتكيف معها ، ومن عمق هذا الصراع بين الانسان والبيئة تولدت ثقافة هذا اللباس، الذي يعكس تاريخ شعب يصارع من أجل البقاء،

بحثا عن الدئ في ملابس من جلود وأوبار الحيوانات القطبية، التي تعكس المكان والزمان والواقع وقساوة المشهد ، وفي المقابل خصوصية وثقافة هذا الشعب، الممثل في شخصية نانوك نفسه .

يظهر هذا في إحدى لقطات الفيلم في الدقيقة 36 حيث يصور الأزياء الغريبة وسط البيئة القاسية انها تعبر عن علاقة الانسان مع الطبيعة ومحيطه



لقطة من فيلم نانوك رجل الشمال د 36

يصور لنا فلاهيري هذه الأزياء التي يرتديها نانوك وعائلته وسط الثلوج والبيئة القاسية حيث حاول فلاهيري التوفيق في تناولها سينمائيا، بين ابراز أهميتها ووظيفيتها في التكيف لدى شعب الايسكيمو، وسط المناخ القاسي، وفي المقابل منح المشاهد لمحة عن ثقافة اللباس التقليدي والتاريخي لهذا الشعب من خلال ملبسه الذي يعكس هويته كشعب يتصارع مع الطبيعة من أجل البقاء، ويوظف شيئا في حياته من ملابس ومأوى وأساليب العيش من أجل الحفاظ على الحياة، ومقاومة الطبيعة والتكيف معها ، وهو في ذات السياق، هوية وثقافة الانسان البدائي المنعزل عن العالم، مثلما ينطبق الأمر كذلك على شعب الايسكسمو .

استطاع فلاهيري تسجيل مقاطع مهمة للتعبير عن ملامح هذه الثقافة خاصة في لقطة تدريب الطفل على الصيد في الدقيقة 47 من الفيلم ؛ انه يحاول من خلال ذلك التعبير عن ثقافة الصيد كسلوك مهم في حياة جماعة الايسكيمو من أجل البقاء ويعبر عن قيمة هذا السلوك الذي يتجذر في حياة هذه المجتمعات منذ مراحل الطفولة مما يجعله واحدا من السلوكيات التي تميز ثقافة العيش لهذا المجتمع .



لقطة من فيلم نانوك رجل الشمال الدقيقة 47

2.4- أصالة ثقافة الايسكيمو في رومانسية الحياة اليومية:

اختار فلاهيري من ضمن المشاهد والوقائع اليومية لحياة الاسكيمو، المتمثلة في نانوك وعائلته أهم المشاهد التي تخدمه في الرسالة التي يود توثيقها، عن ثقافة الايسكيمو في حياتهم التقليدية، وممارساتهم اليومية، التي تعتبر من الثقافات الأصلية لمثل هذه الشعوب التي احتفظت ببساطتها ورومنسيتها في التعايش مع الطبيعة، وفي المقابل هناك حياة يومية واجتماعية لها من الخصوصية الثقافية، ما يعكس قيمة هذه البساطة والرومنسية والهوية والأصالة التي تميز هذا الشعب، ولذلك ترى الباحثة باتريشيا أوفدر هايدي؛ بأن اختيار

فلاهيترتي للصيغ المهجورة في الفيلم كان خيارا أخلاقيا اذ قال : " ما أريد أن أعرضه هو الروعة والسّمات الشخصية التي يبتّمتع بها هؤلاء الناس، ولا يزال ذلك ممكنا، لقد كان لدى فلاهيترتي إيمان رومانسي قوي ، بنقاء الثقافات الأصلية وكان يؤمن بأن ثقافته قد أقفرت روحانيا بالمقارنة بها ...كانت هذه القناعة الرومانسية تعني أيضا أن فلاهيترتي كان يعتقد أن ثقافة الايسكيمو قد لوّثت بفعل احتكاكها، بالعالم الخارجي فقد كانت الثقافة الأصلية في رأيه ثقافة نقية لم تمسّسها حضارة صنعتها الماكينات ولذلك طلب المخرج روبيرت فلاهيترتي من نانوك وعائلته، في تصويره للفيلم إعادة تجسيد العادات التقليدية " (أوفرهايدي، 2012، صفحة 31)

يتجلى هذا الأمر في مشاهد الفيلم، منذ البداية، حيث يركز فلاهيترتي في تصويره للحياة اليومية لنانوك ، على تلك الرومانسية القائمة على علاقة الإنسان مع بيئته، التي هو جزء منها في قاساوتها وعزلتها وغرابتها وأصالتها في الوقت نفسه، حيث وجد في أن الحياة اليومية لشعب الايسكيمو نموذجا مهما عن الثقافات التي لا تزال بالرغم من بدائيتها كما يراها البعض، الا أنها ثقافات خالصة وأصليه لم تتلوث بغزو فكري وثقافي آخر، جردها من هويتها وخصوصيتها.

والدليل على ذلك العديد من اللقطات والمشاهد التي تتجلى من خلالها هذه الثقافة والرومانسية للجماعة المدروسة.

ففي مشهد بناء البيت الجليدي لرجل الاسكيمو في الفيلم تظهر لنا جليا تلك الأصالة والرومانسية في اللقطة التي تجسد صورة نانوك بأزيائه التقليدية لشعب الايسكيمو وهو يقوم ببناء الكوخ الجليدي حيث تعبر في رمزيّتها ودلالاتها على البيئة المحيطة بالجماعة المدروسة وكذا أثر هذه البيئة على هذا المجتمع من حيث الملبس والمسكن وطريقة العيش .



لقطة من فيلم نانوك رجل الشمال الدقيقة 46

وهكذا فإن الفيلم بدوره يقوم بعمل أنثروبولوجي مهم، عندما وثق هذه الحياة اليومية بممارساتها وعاداتها وتقاليدها الأصيلة، ولذلك طلب فلاهيري من سكان الايسكيمو تجنب كل ما له صلة بالحدث من مأكّل أو وسائل متطورة، في التنقل أو لباس أو وسائل الصيد ، مكتفيا بتصوير طريقة الصيد التقليدية والتنقل بالعربات التي تجرها الكلاب و الأجواء العائلية داخل البيوت الثلجية، ولذلك فالمتعمّن في عمق هذه المشاهد في الفيلم، يدرك أن ثقافة الايسكيمو ورومانسيته، تجمع بين التكيف البيئي، وأكثر من ذلك خصوصية وهوية أصيلة ونقية مقارنة بثقافات العديد من الشعوب، التي امتزجت بن ما هو أصلي، وما كان مكتسبا وما كان بفعل تأثير عوامل خارجية .

5. خاتمة:

من خلال ما ورد في هذه الدراسة ، تتجلى لنا قيمة كل من السينما كفن مهم للتصوير والتوثيق، والأنثروبولوجيا كعلم لدراسة الإنسان، ولذلك كانت علاقتهما في خدمة الإنسان وتوثيق هويته الاجتماعية والثقافية... وغيرها .

تعتبر السينما الوثائقية من بين وسائل الاتصال البصرية، التي تعتمد عليها الانثروبولوجيا البصرية في رصد ملامح الثقافات لدى الشعوب وتوثيق مختلف المميزات الثقافية لدى السلالات البشرية في العالم .

يشارك علم الانثروبولوجيا بالعديد من العلوم والفنون، لأن هذا العلم يحاول تقصي كل ما له علاقة بالإنسان، ويوظف في أساليبه العلمية والعملية، كل من يخدمه لتسجيل الحقائق والوثائق ولذلك وجد ضالته في الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي، والذي يعد فيه الفيلم الاثنوغرافي كما يصطلح عليه نموذجا مهما من الأفلام التي تندرج ضمن الانثروبولوجيا البصرية أو المرئية .

تناول السينما في مضامينها، العديد من المواضيع الثقافية، التي تهدف الى الترويج لها؛ وعليه كانت السينما الوثائقية ولا تزال تهتم بتصوير مظاهر الثقافة، وترويجها اعلاميا لأغراض سياحية وتعليمية وثقافية، وهو بذلك خدمة لمثل هذه الدراسات الأنثروبوجية ونشرها عبر العالم قاطبة .

كانت الثقافة من الاهتمامات الأولى لرواد السينما عامة والفيلم الوثائقي بشكل خاص، وهو ما نلتمسه من تجارب كل من جون جريرسون و ديزيغا فريتوف و روبيرت فلاهيري وغيرهم .

يعد روبيرت فلاهيري الأب الروحي للسينما الوثائقية منذ ،1922 من خلال أفلامه الشهيرة التي تميزت بتصوير ثقافات الشعوب النائية والمنعزلة وسط رومانسيتها، في الصراع مع الطبيعة . استطاع فلاهيري من خلال مغامراته في بيئة شعب الاسكيمو، أن ينقل ثقافة أصيلة متفردة عن باقي الثقافات عبر العالم ، من حيث خصوصيتها وهيتها وتقاليدها .

تتجلى ملامح الثقافة في فيلم نانوك رجل الشمال ، في تركيز المصور على العديد من النقاط الهامة التي حاول من خلالها تبين هذه الثقافة، من ممارسات وأزياء و سلوكات ناتجة عن صراع الإنسان من أجل التكيف مع الطبيعة .

ولذلك صور كل هذه الأشياء ، في الملابس والمأوى و رومانسة الحياة اليومية التي كان يرى أنها صور تتجلى فيها ثقافة شعب منعزل تتميز بالأصالة النقية ، التي لم تتلوث بعدة عوامل خارجية، وبقيت محافظة على خصوصيتها المتأثرة بالطبيعة والمتكيفة معها .

6. قائمة المراجع:

bibliography

● **Books :**

1. Al-Jawhari, Mohammed ; Introduction to the Study of Anthropology ; Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'ah ; . Cairo ; (2007)
2. Aufderheide, Batricia. Documentary Film: A Very Short Introduction. Hindawi Foundation for Education and Culture. Cairo (2012).
3. Khalifi, george.. Documentary Film - A Proposed Guide for Teaching in Palestinian Universities and Colleges. Media Development Center, Birzeit University Birzeit:. (2014)
4. Colin Jean Paul. Marc Augé. Anthropology ,United New Book House. Tripoli (2008).

● **Articles :**

1. Hadjjaj, Hamdi Abdelaziz. Visual Anthropology and Its Relationship to Film. Nile Valley Journal of Studies and Research (Issue 2, (2014)..
2. Hayat, Khamisse The Ethnographic Method and Its Uses in Anthropological Research. Journal of Humanities and Social Sciences, (2023
3. Sofiane Sassi .Mokhtar rehab Visual Anthropology - Ethnographic Film and Cultural Media Production as a Model. Part One (Issue 23), (2018)

●

Websites :

1. Flaherty, Robert. Nanook: Man of the North (1922).

<https://www.youtube.com/watch?v=uXW7xaVSghQ/> 01/03/2025

قائمة المراجع باللغة العربية :

المؤلفات:

1. الجوهري ,محمد ..مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا :دار المعرفة الجامعية. القاهرة القاهرة..(2012) .
2. أوفدرهايدي باتريشيا.. الفيلم //الوثائقي مقدمة قصيرة جدا/. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (2012)
3. خليفي، جورج، الفيلم الوثائقي -دليل مقترح للتدريس من الجامعات والكليات الفلسطينية. بيرزيت:مركز تطوير الاعلام جامعة بيرزيت(2014) .
4. كولاين جان بول، مارك أوجبه الأنثروبولوجيا. دار الكتاب الجديد المتحدة. طرابلس، 2008

المقالات:

1. حجاج ،حمدي
عبد العزيز ..الأنثروبولوجيا البصرية وعلاقتها بالأفلام .مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث العدد الثاني.(2014)
2. حياة ,خميس المنهج الايثنوغرافي واستخداماته في الأبحاث الأنثروبولوجية .مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية .(2023)
3. سفيان ساسي، مختار رحاب، الانثروبولوجية المرئية -الفيلم الايثنوغرافي والانتاج الاعلامي الثقافي نموذجا .الجزء الأول العدد 23.(2018)

المواقع الالكترونية :

1. فلاهيرتي.روبيرت، فيلم نانوك رجل الشمال .(1922) .

HYPERLINK "https://www.youtube.com/watch?v=uXW7xaVSghQ"
2025/03/01/<https://www.youtube.com/watch?v=uXW7xaVSghQ>